

تجربتان لإعداد موسوعة متكاملة عن السينما العربية

دليل الأفلام العربية في القرن العشرين طاقة من المعرفة لهواة السينما والباحثين

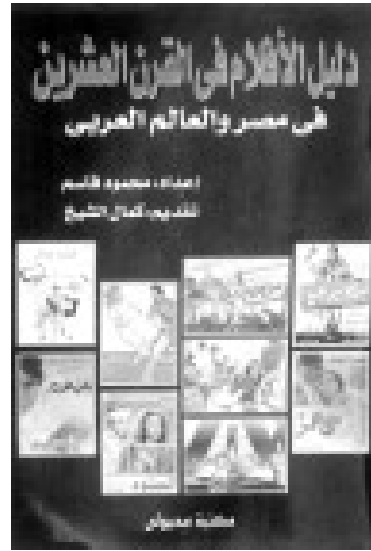
إعداد / نجوى نور الدين

الموسوعات كانت أول مقياس يتم به قياس درجة حضارة دولة أو أمة من الأمم فالأمة لا تستطيع أن تعد موسوعة.. إلا إذا كان لديها من المعارف والأشخاص ما يصنع موسوعة ومن هنا تأتي أهمية وجود مرجع يمكن الرجوع إليه للتعرف على المادة أو الشخصية المراد البحث عنها.

فالهدف الأول للموسوعة هو الرجوع إلى المعلومة المطلوبة حين الحاجة إليها.. والموسوعات نوعان.. موسوعات عامة.. وأخرى متخصصة.. الموسوعات العامة مثل (لاروس) يمكن الحصول منها على المعلومات بشكل عام.. دون حاجة إلى التخصص.. أما الموسوعات المتخصصة فهي مصنوعة للمتخصصين أو لهواة نوع من التخصص فموسوعات السينما أو المسرح تستخدمها المتخصصون.. كل في مجاله.. وكذلك القارئ العادي الذي يعرف أنه سوف يحصل على (كل) ما يريد في مجال هذا التخصص.. ومن الممكن أن نجد موسوعات متخصصة في الفنون والآداب والعلوم والتاريخ والدين والرياضة وغيرها من المجالات.

المحاولة الأولى

من هذا المنطلق فكر محمود قاسم رئيس تحرير كتب الأطفال بدار الهلال في إعداد أول موسوعة للأفلام في العالم العربي فقام بجمع كافة البيانات عن الأفلام المنتجة عربياً.. حتى وقت إصدار الموسوعة غير أنه ووجه بمشاكل عدة أولها عدم وجود مراجع يمكن الاستناد إليها أو التأكد من صحتها.. ويأتي بعد ذلك عدم وجود أشخاص لديهم الخبرة لعمل هذا النوع من الموسوعات فضلاً عن وجود ناشر يستطيع أن يمول مثل هذه الموسوعات لضخامتها وحاجتها إلى ميزانية كبيرة.. ومن هنا كان على المؤلف أن يعمل في ظروف مليئة بالصعاب.. وكانت النتيجة



وجود أخطاء ملموسة هي في المقام الأول أخطاء المحاولة الأولى. يضاف إلى ذلك قيام بعض النقاد بالهجوم على الموسوعة لأنها كانت حلمهم.. الذي يتحنون القيام به وحققه شخص آخر..

وفيما بعد، قامت إحدى دور النشر الإلكترونية بتحويل الموسوعة إلى كتاب إلكتروني عن سينما العرب.. دون الرجوع إلى المؤلف الأصلي.

وكانت هذه التجربة هي الدافع الحقيقي للمؤلف محمود قاسم لعمل موسوعة بالأخطاء.. بعد أن تعلم من سلبيات التجربة.. الأولى، ومن هنا أصدر مرجع (دليل) الأفلام العربية في القرن العشرين.



وجود أخطاء عرضة.. وكان أمام المؤلف عدة تقسيمات يمكن اتباع واحد منها مثل التقسيم الهجائي أو التقسيم حسب المخرجين..

فأختار الجمع بين ترتيب الموسوعة حسب تاريخ عرض الفيلم.. ثم عمل فهرساً هجائياً في نهاية الموسوعة حتى يستطيع المتلقي أن يتعرف بسهولة على مكان الفيلم في الموسوعة.

ونلاحظ في هذه الموسوعة أن السينما في مصر هي الأكبر عدداً.. وأن كمية الأفلام المجهولة الصائفة كثيرة للغاية.. ثم أن الأفلام في دول مثل لبنان وسوريا وتونس والمغرب تأتي في المقام الثاني.. وأهم من ذلك فإن أفلام المغرب العربي عبارة عن إنتاج ثنائي بين فرنسا وهذه الدول.. بعكس ما يحدث في المشرق العربي.. ونلاحظ كذلك أن هناك أفلاماً عربية تحمل أكثر من جنسية عربية.. مثل فيلم (العصفور

(فهو جزائري مصري، و (أجمل أيام حياتي) (لبناني مصري) و(أين حبي) (سوري لبناني).

مرجع موثوق فيه

وهناك دول أنتجت أفلاماً قليلة.. لكنها متميزة فالكويت على سبيل المثال تفخر بأن لديها أفلاماً قليلة.. لكنها علامات في السينما العربية مثل فيلم (عرس الزين) و(بس يابحر) للمخرج خالد الصديقي كما أنتجت ليبيا أيضاً فيلمين بالمشاركة مع الكويت.. أحدهما فيلم (الرسالة) والثاني (أسد الصحراء) إخراج مصطفى العقاد.

وهناك دول لم تعرف حتى الآن الإنتاج السينمائي مثل اليمن والمملكة العربية السعودية وسلطنة عمان والإمارات العربية.. وإن اهتمت الأخيرة في الفترة الماضية بعمل أفلام تليفزيونية ومهرجانات تعوض بها حاجتها للإنتاج السينمائي.

وأهمية هذه الموسوعة - بعد صدورها عن دار مديولي - أنها مرجع موثوق فيه للباحثين، فمثلاً لو أردنا أن نتوقف عند موضوع الكوميديا الموسيقية كبحث.. فسوف نكتشف أنه ازدهر في مرحلة ما وعند أسماء مخرجين بعينهم (أنور وجدي وحسين فوزي) وممثلين بعينهم (نعيمة عاكف) ثم اختفى تماماً باختفاء أبطاله.. ويمكن من خلال الموسوعة على سبيل المثال للمتخصص والقارئ العادي أن يعرف الفرق بين السينما الغنائية مثل (بنات اليوم) والكوميديا الموسيقية مثل (دهب)، والسينما الاستعراضية مثل (غرام في الكرنك) كذلك يمكن التعرف من خلال هذه الموسوعة على الفيلم التاريخي والسياسي وعلى ظاهرة الاقتباس من السينما العالمية.. وعلى العلاقة بين الأدب والسينما.. والسينما والجنس.. وعلى تاريخ تطور مخرج أو ممثل وعلى صعود وهبوط السينما الكوميديا وعلى سينما العنف والأفلام الدينية وغيرها.

استهوى

حول المفهوم الكوني للإيقاع

■ «.. يصعب تصور الحياة دون إيقاع، بمعنى أن الحياة ينتظمها تعاقب زمني دقيق يحافظ على توازنها.. ومن السير أن نجد الإيقاع كامناً في كل حدث طبيعي أو إنساني.. ولأهمية هذا العنصر راح كثير من الفلاسفة والمفكرين يتأملونه كما سمر سينحون أن يتوجه إليه الاهتمام.. فقدمنا مقال «فستولوس»: «الإيقاع هو الحياة والحياة هي الإيقاع».. وهذا التفسير الكوني للإيقاع لم يتولد نتيجة نزوة فلسفية، كما قد يتبادر إلى ذهن أحدنا، وإنما برز كالتقاط لإحدى المكونات الجوهرية للوجود..

■ وإذا كان الإنسان العادي لا تشده الظاهرة الإيقاعية فما ذلك إلا لأن إدراكها يحتاج إلى شيء من التأمل الذاتي الراسي.. فالطبيب - مثلاً - لا يستطيع تشخيص حالة مرضية ما لم يحس بأن ثمة اضطراباً بكتنف العضو المريض في الجسم.. ذلك أن الإيقاع ينتظم جميع الأجهزة اللاإرادية في جسم الإنسان، مثل دقات القلب وعمليات الهضم في المعدة وجريان الدم في الجسم.. الخ..

■ والتعريفات العلمية للإيقاع كثيرة جداً.. فالدكتور «فؤاد زكريا» عرف الإيقاع بأنه: «تنظيم للحركة خلال الزمان».. وهناك من قال: «إن الإيقاع هو تنسيق النسب بشكل منتظم في المساحة والزمان».. ومن الواضح أن التعريفات العلمية للإيقاع تقترب من تشخيص حالته في الفنون.. حيث يبرز الإيقاع بهذا المعنى في السينما والنحت والتصوير، وهو إيقاع تحسه العين.. أما الإيقاع الذي تحسه الأذن فهو موجود في

الموسيقى والرقص والنثر والشعر.. ■ والجدير بالذكر أن تاريخ الموسيقى يؤكّد على أن الأدوات الإيقاعية هي أول ما اخترع الإنسان، الذي جعل في البداية من الأيدي والأرجل والبسطون أول

أدوات إيقاعية.. أما الهدوء إلى صناعة الآلات الإيقاعية

فجاء بعد ذلك.. ويقال أن الشعر العربي كان في أول الأمر أغنية يحدو بها الحادي في إيقاع يتناسب وخطوات الأبل..

■ وفي الموسيقى يحتل الإيقاع أهمية قصوى.. إذ أنه يشكل أحد أهم ركيزتين أزيلت فيهما وهما الزمن والنغم.. فاللحن تدفق صوتي ينتظمه وحدات زمنية متساوية.. والإيقاع إذن عنصر موسيقي يتعلق بالشق الزمني للصوت الذي له صفاته الفيزيائية المعروفة.. والإيقاع الموسيقي في سباقه العام ينتظم في وحدات قوية وضعيفة في عملية شبيهة بعملية التنفس الطبيعي عند الإنسان.. حيث يمثل الشهيق الضغط القوي، فيما يمثل الزفير الضغط الضعيف.. وتشخيص الحالة الإيقاعية في الموسيقى يجرنا إلى الكتابة الموسيقية التي يتجسد فيها عنصر الإيقاع على نحو يستحيل معه التعامل مع القطعة الموسيقية المكتوبة دون السيطرة على مكوناتها الزمنية التي تتحدد على ضوء الميزان.. ووفق هذا الميزان يتحدد جوهر إيقاع القطعة الموسيقية..

■ وغنى عن البيان القول أن التعامل مع القطعة المكتوبة يقتضي دراسة خاصة ومثالية، وهو أمر لا يتأتى إلا في مدارس المجتمعات الحية..

■ وبالعودة إلى الإيقاع، تحدر الإشارة إلى أن ثمة صيغاً إيقاعية كثيرة تميز موسيقى العالم.. ولهذا فتحديد شخصية أية موسيقى أمر موهون بتشخيص المادة الإيقاعية.. ذلك أن الصيغ الإيقاعية هي مما يكسب اللحن طابعه المميز وهويته الموسيقية عند كل جماعة إنسانية، ومنه تنطلق أية حركة تجديد موسيقي.. ولعل المتابعين لتاريخ الموسيقى العربية يدركون بتقليل تدفق سيل الكم الهائل من الأفلام والبرامج التلفزيونية القادمة من الخارج.. معناً لهيمنة ثقافة بعينها على المستهلكين دون إتاحة الفرصة للثقافة السودانية

... هكذا يمكن رفع مستوى المنتج محلياً من الأفلام السينمائية إذا تحقق قدر ما من المطروح سابقاً

إشكالية السينما في السودان

فيصل مصطفى

■ لعل مصطلح «إشكالية» هو القادر على اختزال أزمة الإبداع في السودان

... فما من شيء لآح في الأفق إلا وأجترح من قبل السودانيين

... باكراً

... متقناً

... بروعة لا مثيل لها

... شتى ضروب الإبداع خيض غمارها

... بوبر في تانسها مكرراً

... ضلع في ممارستها ضلوعاً قوياً

... عكس وجهها عكاساً متقناً

... أكان ذلك من خلال الدوريات الثقافية

... لمجلتي «النهضة» و«الفجر» خلال مطالع

... الثلاث الأولى من القرن الفائت

... أو حتى في «الكورة» و«الديمقراطية»

... أين نحن الآن مما قُدم في المسرح الجامعي؟

... ألا تخفي الإشارة إلى ما قُدم في منتديات «أبادمك»؟

... وبنادي السينما

... وأمسيات الخرطوم الثقافية

... ومشاغل الزهور

... وواحات لا حصر لها

... إذن ماذا عن صناعة السينما؟

... حقاً لقد بدأت عروض السينما المتجولة بالسودان في وقت مبكر جداً مقارنة بدول المنطقة

... كذلك أسست أول حكومة وطنية قطعاً

... خاصة بالإنتاج السينمائي..

... ووضع «جناد الله» أحد رواد صناعة السينما في السودان

... ربما قبله آخرون في إنتاج بعض الأفلام الوثائقية والتسجيلية... ولحقاً أنتجت بعض الشركات الخاصة أفلاماً روائية في فترات غير

متواترة

... لكن في نهاية المطاف يظل الخط البياني لتطور مسيرة صناعة السينما بطيئاً

... متعثراً الخطي

... بل مترجعاً في بعض الأحيان

... ولعل مرد ذلك يعود إلى أسباب عدة منها

... اعتبار الحكومات المتعاقبة على دست الحكم أن ملف الثقافة عموماً ليس ذا بال

... وغالباً ما يوضع في «قعر» قائمة اهتماماتها

... فما بالك بالسينما؟

... يأتي بعد ذلك مباشرة

... تدني الوعي لدى المسؤولين بالدور الفاعل الذي يمكن أن يعكسه «الفن السابع»

... لوجه السودان في المحافل الدولية

... ومهرجانات السينما العالمية

... ثم ينتصب الحذر الذي يبديه رأس المال الوطني في ولوج هذا الضرب من الاتجار عائقاً عصي العبور

... وثمة موانع يمكن التغلب عليها عبر الإلحاح والمثابرة والإصرار على الاستمرار

... مثل لهجة الحوار العامية - إشكالية التواصل اللغوي - التي يصعب على بعض الشعوب العربية الأخرى التفاعل معها!

... عدم الانتقائية في اختيار الوجوه التي تتصدى للتمثيل

... لا سيما في ما يتعلق بعنصر المرأة لأسباب لها علاقة بطبيعة المجتمع السوداني

... ثم تأتي معضلة المعاضل المتمثلة في عدم وفرة النصوص الصالحة للدراما السينمائية

... على الرغم من وجود بعض النصوص الروائية التي لا تجد كاتب السيناريو المتمرس الذي يتمكن من تحويلها إلى عمل سينمائي

... كل هذه الأسباب وغيرها تصب في خانة معوقات تطور صناعة السينما في السودان

● ● ● ● ●

... ثمة احتمالات

... رخص بانفراجة

... ربما تؤدي إلى قيام صناعة سينمائية في السودان

... بداية

... لما كان السودان من المستعمرات الإفريقية لإحدى دول صناع السينما في العالم

... لم ينظر المستعمر إلى السودان كشريك في صناعة السينما

... بل كانت نظراته نظرة متعالية تمثلت في اعتبار القارة السوداء كلها مجرد ديكور ومسرح للصرع بين الرجل الأبيض المتحضر

... بتفوقه العقلي ومنجزه العلمي، والرجل الإفريقي بتفوقه الجسدي وقصوره العقلي

... لذلك قصر اهتمامه على عروض السينما المتجولة في ساحات مدارس حاضرات المديرية آنذاك

... بل لم يتعداه إلى البدء في مشروعات جادة من فن السينما وصناعته، كما هو الحال في مصر مثلاً، مما أدى إلى التعامل مع الفن السابع من قبل السودانيين باعتباره أداة فنية وافدة وغريبة على المجتمع السوداني

... فقط يكتفى باستهلاكها دون إنتاجها

... وهل ثمة خيار آخر سوى أن نستهلك ما هو انعكاس لحياة وتاريخ شعوب المستعمر

... فمثلاً فيلم «لورنس العرب» يقدم صورة للورنس وليس للعرب!

... إنما يقلق حقاً أننا ظلنا نستهلك دون أن تنتج!

... هل نحن عديمو الخلق

... عاقلو المواهب

... لا نبذع

... غير مبتكرين

... يبدو أن الأمر أعقد من ذلك بكثير

... قافن السابع ليس فناً خالصاً

المطروح سابقاً



جابر علي أحمد